

الاعتراض في شعر الأعشى دراسة في التجليات النحوية والمقاصد البلاغية

د: العيد حنكة

جامعة الشهيد حمّة لخضر - الوادي.

ملخص البحث: البحث هو خلاصة لتتبع ظاهرة الاعتراض النحوية وتجلياتها - تغيراتها- في نموذج من الشعر الجاهلي متجسدا في مختارات من ديوان الأعشى، حيث تطرق الموضوع إلى مفاهيم نظرية حول هذه الظاهرة النحوية ثم عمد إلى استخراج نماذج مختلفة لها من الناحية التطبيقية، كالاعتراض في الجملة الفعلية والاسمية على جميع المستويات، مع استنباط قيمة توظيفها بلاغيا وفنيا.

Abstract:This paper is a summary of studying the grammatical phenomenon of subordinate clause "ITIRAD" and its aspects - changes- in a model of the pre-Islamic poetry, embodied in an anthology of EL-Aacha poems. The topic discussed some theoretical concepts about this grammatical phenomenon. Then, it turned to extract various practical models of the phenomenon such as: "ITIRAD" in the verbal and nominal sentences at all levels, in addition to detecting the value of its use rhetorically and astatically.

حظي الأدب الجاهلي بعدد الدراسات الأدبية واللغوية من قبل القدامى والمحدثين؛ إذ اهتمت في مجملها بالشعر شرحا وتحقيقا وتعليقا واستشهادا به في النحو، الأمر الذي دفعني إلى اختيار ظاهرة لغوية ندر عند الدارسين أفرادها بالبحث؛ إنها ظاهرة الاعتراض، إذ حاولت تطبيقها على شعر الأعشى الكبير كعينته، هذا الأخير الذي عدّه النقاد من فحول الشعراء الجاهليين. وبذلك وسمت المقالة بالعنوان الآتي: "الاعتراض في شعر الأعشى: دراسة في التجليات النحوية والمقاصد البلاغية".

ومجمل ما في البحث أني تطرقت إلى مفهوم الاعتراض لغة واصطلاحا، ثم مفهومه عند النحويين والبلاغيين. ثم عمدت إلى الدراسة التطبيقية من حيث أوجه الاعتراض التي وردت في شعر الأعشى. كالحاصل بين عناصر الجملة الفعلية، وقصرته على الاعتراض بين الفعل وفاعله وبيئت جوانبه البلاغية. وكالحاصل كذلك بين الجمل المنسوخة، وتضمن إن واخوانها وما أفادته من معاني دلالية. وذكرت الاعتراض بالجملة الحالية، وبين الصفة والموصوف، وبين أدوات القسم وجوابه، وبين أداة الشرط وجوابها أيضا، والاعتراض بجملة النداء، إذ بينت من خلال أوجه الاعتراض - التي ذكرت - المنحى الدلالي لكل وجه.

فالاعتراض في اللغة من مادة: عرض؛ أي اعترض، وهي بمعنى: " انتصب ومنع، وصار عارضا كالخشب المنتصب في النهر ونحوها تمنع السالكين سلوكها " ¹. وفي الصحاح: اعترض الشيء حال دونه ². وجاء في مقاييس اللغة " اعترض في الأمر فلان أو أدخل نفسه فيه " ³.

وأما اصطلاحاً فنكتفي بمعجم المصطلحات النحوية والصرفية مفضلاً له ومعرفاً، وملخصه: " أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملته أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكته سوى رفع الإبهام، وذلك لنقطع الخبر عن المبتدأ والفاعل عن فعله. والجواب عن شرطه والصفة عن موصوفها " ⁴ ويسمى كذلك: " الحشو وهو دفع القول وردة " ⁵.

اهتم النحويون بالاعتراض فمثلاً

عقد ابن جني (ت 392) في كتابه الخصائص باباً سماه

الاعتراض، ومما قال فيه: " وأعلم أن هذا القبيل من العلم كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر، ومنشور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد، لا يشنع عليهم، ولا يستنكر عندهم أن يعترض بين الفعل وفاعله، والمبتدأ أو خبره، وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذاً أو متأولاً " ⁶. وقال في موضع آخر: " الاعتراض في شعر العرب ومنشورها كبير وحسن ودال على فصاحة المتكلم وقوة نفسه، وامتداد نفسه " ⁷.

وأما ابن الحاجب (ت 646) يلمح للاعتراض في أماليه النحوية حينما يذكره في استقامه المعنى المراد من قوله الشاعر:

أَثُوبُ إِلَيْكَ يَا رَحْمَانُ مِمَّا جَنَيْتُ فَقَدْ تَكَاثَرَتِ الدُّنُوبُ
وَأَمَّا مَنْ هَوَى لَيْلَى وَتَرَكَى زِيَارَتَهَا فَأَنَّى لَأُتُوبُ.

فمعنى البيت استقام بالاعتراض بالجملته الفعلية وترك زيارتها " التي وردت معترضة بين كلمة "ليلى"، " وكلمة فاني لا أتوب ". هذا ما لمح إليه ابن الحاجب. ⁸
وعقد ابن هشام الأنصاري (ت 761) باباً للاعتراض ذكره في الجملة المعترضة التي يعرفها بأنها: " المعترضة بين شيئين مثلاً لإفادة الكلام وتقويته تسديداً أو تحسیناً للمعنى " ⁹.

أما البلاغيون فقد عجت كتبهم بمفهوم الاعتراض وتعددت اصطلاحاته، وأول من عرض لهذا المصطلح أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255) في كتاب البيان والتبيين، وأورد له باباً سماه إصابات المقادير، وذكر فيه: " ويذكرون الكلام الموزون

ويمدحون ويفضلون إصابته المقادير ويذمون الخروج عن التعديل.¹⁰ واستشهد له بقول طرفته:

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُضِيدِهَا صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدَيْمَةٌ تَهْمِي¹¹ .

ثم تلاه ابن المعتز (ت 292) الذي قسم محاسن الكلام إلى ثلاث عشرة قسما وجعل الاعتراض الحسن الثاني، وهو عنده: "اعتراض كلام في كلام لم يتر معناه ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد كقول بعضهم"¹² ، وهو قول النابغة الجعدي: أَلَا زَعَمْتَ بَنُو سَعْدٍ بِأَنِّي أَلَا كَذَبُوا - كَبِيرَ السِّنِّ فَأَنِّي¹³ .

ويطلق قدامه بن جعفر (ت 337) على مصطلح الاعتراض اسما آخر وهو التتميم ، وأفرد له في كتاب نقد الشعر بابا يذكر فيه "أن الشاعر يذكر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته ، وتكمل معها جودته شيئا إلا أتى به"¹⁴ ، واستشهد له ببيت طرفته المذكور سائفا ، وأما أبو هلال العسكري (ت 395) فيرى أنه اعتراض كلام في كلام لم يتر معناه ثم أن ترجع إليه فتتمه"¹⁵ ، واستشهد له ببيت النابغة الجعدي المذكور سائفا كذلك.

وعرض الجرجاني (ت 471) في معرض حديثه عن نظم الكلام في كتابه دلائل الباعجاز للاعتراض: فقال: "اعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصيغ تتلاحق وينظم بعضها إلى بعض حتى تكثر فيه العين ... حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدة أبيات، ويستشهد للاعتراض بقول ابن المعتز: وَأَنِّي عَلَى إِشْفَاقِ عَيْنِي مِنَ الْعِدَى لِيَجْمَعَ مِنِّي نَظْرَةٌ ثَمَّ أَطْرَقَ .
ويأخذ الجرجاني هذا البيت من وجهته النحوية إذ يذكر أن الاعتراض حصل بين اسم أن وخبرها وهذا مما يؤكد أنه على علم بهذا الاعتراض."¹⁶

وبعد هذه الجولة الموجزة في كتب البلاغيين والنحويين برز لنا مفهوم الاعتراض واضحا وتعددت - فعلا - مصطلحاته على حد تعبير سليمان أحمد فتح الله في كتابه الأسلوبية إذ يقول الاعتراض: "تعدد مفهومه عند البلاغيين فهو التتميم عند قدامة. والاستدراك عند ابن رشيق والاحتراز عند سنان الخفاجي"¹⁷ .
والشيء الذي شد انتباهي - في هذا الباب - هو أن ابن رشيق عرف الاعتراض بمصطلحين، أحدهما الالتفات الذي حكاه عن قدامة، والآخر الاستدراك¹⁸ ، ولكل باب في نقد الشعر¹⁹ .

إلا أن صاحب خزائنة الأدب أفرد باباً للاستدراك كما تحدث عن الالتفات الذي نقله عن قدامتة، ملخصه "أن الاستدراك على قسمين: قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد ، وقسم لا يتقدمه ذلك.²⁰

وعليه فإن مفهوم الاعتراض تعددت مفاهيمه في كتب اللغويين وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة معاني الاعتراض وجماليتها البلاغية.

الاعتراض في شعر الأعشى بين اسم ما وخبرها:

حفل شعر الأعشى بالعديد من صور الاعتراض بين اسم ما وخبرها حتى سماه محمد محمد حسن بالاستدراك التي يعرضها بأنها " توالي مجموعة متلاحمة من الأبيات تجري على نظام متسق يقوم فيه كل بيت بنفسه في معناه. ولكن المعنى العام لا يتم إلا بالبيت الأخير منها²¹.

ومن قبيل هذا الاعتراض قول الأعشى:

وَمَارَاتِحُ رَوْحَتِهِ الْجَنُوبُ يَرُوي الرُّوعَ وَيَعْلُو الدِّيَارَا
يَكْبُ السَّمِينُ لِأَذْقَانِهِ وَيَصْرَعُ بِالْعَبْرَانِثَلَا وَزَارَا
إِذَا رَهَبَ المَوْجُ نُوتِيَهُ يَحْطُ القَلَاعَ وَيُرْخِي الزِّيَارَا
بِأَجُودَ مِنْهُ بِأَذْمِ السَّرَابِ لَطَّ العُلُوقُ بِهِنَ إِحْمِرَارَا²².

وقد اعترض الأعشى بين اسم ما "رائح" وخبرها "بأجود" بفاصل من الأبيات بلغ الثلاث يتشكل من الجمل الفعلية. ركز فيه الشاعر على عرض صفات اسم ما قبل أن يكمل حديثه ووصفه للخبر ، وهنا نرى دقة نسج الشاعر لأفكاره وأحكامه لبناء الغرض الذي يرمي إليه من خلال قصيدته.

ومن هذا الاعتراض قوله:

وَمَا أَيْبَلِيٌّ عَلَى هَيْكَلٍ بِنَاهُ وَصَلَبٍ فِيهِ وَصَارَا
يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيذِ كِ طُورَا سَجُودَا وَطُورَا جُورَا
بِأَعْظَمَ مِنْهُ ثَقَى فِي الحِسَابِ إِذَا التَّسْمَاتُ نَفَضْنَ الغُبَارَا²³

ونلاحظ من خلال هذا الشاهد كذلك الاعتراض بين اسم ما وخبرها فاسم ما "أيبلي" وخبرها "بأعظم". وتخللتهما جمل فعلية شارحة لـ "أيبلي" الذي يراوح في كنيسته وما هو إلا دليل على التراكم المعرفي والمعنوي الذي يريد الشاعر أن يوصله من خلال مدحه صاحبه حتى يأجره ويجزي له كثير العطاء.

الاعتراض بالجملته الشرطية وعناصرها:

جاء في قوله تعالى: (وَلَوْ لَّا رَجَالَ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءَ مُؤْمِنَاتٍ لَمَّا تَعْلَمُوهُم أَن تَطَّوَّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُم مَّعْرَةٌ بغير علمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)²⁴.

فلاحظ في هذا الشاهد أداة الشرط "لو" وجوابها "لعذبنا" فقد فصل بينهما بحشد من الألفاظ الذي عبرنا عنه بالاعتراض ، فجاءت الألفاظ المعترض بها في جملة فعلية توكيدية وتوحي بالعذاب الذي حدثنا عنه جواب الشرط.

بهذه الفصاحة والبلاغة التي تجسدت من خلال الاعتراض الوارد في الآية السالفة نجد الشعراء يحاولون التمثيل له في قصائدهم.

فشاعر كأعشى - الذي سبق القرآن في التمثيل لهذا النوع من الاعتراض - جسد الاعتراض بين الشرط و أدواته في ديوانه ونلمح هذا في هجائه لعمر بن المنذر بن عيدان:

سأوصي بصيراً إن دنوت من البلى وصاة إمري قاسي الأمور وجرباً²⁵
الشاهد في هذا البيت (إن دنوت من البلى) اعترض بها بين الفعل "سأوصي" والمفعول المطلق له "وصاة إمري". فالشاعر أحدث بجملة الشرط تباعداً بين شيئين متلازمين؛ إذ أفاد بذلك معاني بلاغية تمثلت في أن الشاعر لا يوصي إلا عند المخاطر أو عند شعوره بقرب أجله.

هذا شاعرنا حذو الشعراء الآخرين في وصاياهم. فالشاعر قد حقق بلغة الشرط بنيته المعنوية في إرادته واتمامه لمقصوده زيادة على حرصه بالبنية الإيقاعية كيف؟ لا وهو سناجحة العرب.

ومن هذا الاعتراض أيضا قوله:

فإن الذي يرتجي سببه إذا مانحل عليه اختياراً
أخو الحرب إذا لقيت بارزاً سما للعلی وأحل الجماراً²⁶

فإن الذي يرتجي سببه في صدر البيت الأول وهو أخو الحرب في صدر البيت الثاني وقد تحقق الاعتراض بعجز بيت كامل وحققه الشرط " إذا مانحل عليه اختياراً " وتكرر اعتراض آخر في صدر البيت الثاني بالشرط أيضا " إذ لحفت " وهو ما يسمى اعتراض في اعتراض بصفة أخرى.

فالشرط إذاً حقق لنا تأكيداً للمعنى وبارازاً لأبعاد دلالية ذات صيغ جمالية. فقد ضخم الشاعر ممدوحه إذ جعله هو المرتجي سببه وهو أخو الحرب سما للعلی. ووصل

للقبائل القوية في عمره ، وما كان اعتراض الشرط في هذين البيتين إلا زيادة للمعنى وجودة للبيان والتوضيح.

الإعتراض بين عناصر القسم: ومن اعتراض القسم في شعر الأعشى قوله:
فَأَنَّ الْقَرِيبَ مَنْ يُقْرَبُ نَفْسَهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرَ، لَا مَنْ تَنْسَبًا.²⁷

فالأعشى في هذا البيت يؤكد لنا أن القريب الذي يعمل على فرض نفسه لا من ينتسب إنتساباً، و اعترض على هذه الجملة الأخيرة "لا من تنسباً" بالقسم "لعمرو أبيك" بذلك البيان والتسديد في المعنى؛ إذ من غيره تجد الخلل الشكلي لطريقة للبيت فتفسد البنية الشكلية المتمثلة في الموسيقى. فمحافظة الشاعر على الإيقاع تجلب معانيه الدلالية في البيت نفسه.

ومن قبيل هذا الاعتراض قوله:

حَلَفْتُ لَكُمْ عَلَى مَا قَدْ نَعَيْتُمْ بِرَأْسِ الْعَيْنِ إِنْ نَفَضَ السَّقَامَا
وَشِيكََا ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ جَمْعٌ لِيَلْتَمَسَنَّ بِلَادَكُمْ إِلَى مَا
لِيَلْتَمَسَنَّ بِلَادَكُمْ بِمَجْرٍ يُثِيرُ بِكُلِّ بَلْقَعَةٍ قَتَامًا.²⁸

اعترض الشاعر بين فعل القسم "حلفت"، وبين جوابه "ليلتمنسن" في البيت الثاني بجملة معطوفة على عجز البيت الأول والتي حوت مفعولاً به منصوباً وفاعله "القسام"، ثم أحدث الأعشى اعتراضاً ثانٍ نلاحظه في البيت الأخير من المقطوعة "ليلتمنسن" فقد اعترض بينهما بأكثر من بيت. وشيكا ثم ثاب إليه وهذا مما سماه ابن المعتز "اعتراض كلام في كلام"²⁹، أي صار في المقطوعة الواحد اعتراضان.

فالإيقاع الموسيقي مكانته في هذه الأبيات مما اضطر الأعشى إلى إحداث اعتراض ثانٍ، فانهجراه نحو رؤية الميم كلفه البحث عن جواب توكيدي آخر لقسمه. هنا أيضاً تظهر لنا صيانة الشاعر لمعانيه و غرضه، فرغم اعتراضه لم يفسد المعنى المراد بل أتمه حد تعبير ابن قدامه.³⁰ فالبنية البلاغية وهدفها واضحان في هذا الاعتراض إذا تعددت المعاني من خلال اعتراضين في ثلاثة أبيات.

الإعتراض بالجملة الحالية:

كثيراً ما ورد الاعتراض بالجملة الحالية في شعر الأعشى تحقيقاً للبنية الشكلية المتمثلة في الإيقاع و ايصالاً لمعنى موقوف، أو إيضاحاً وتبياناً لحاله المقصود.

ومن هذا الاعتراض قول الشاعر:

فُظِّلَ يَأْكُلُ مِنْهَا وَهِيَ رَاتِعَةٌ حَدَّ النَّهَارِ ثَرَاعِي ثَيْرَةٌ رُثْعًا.³¹

في هذا البيت اعترض الشاعر بالجملة الحالية "وهي راتعة" تحديداً للإيقاع وقد كان له ألا يأتي بها في هذا الوضع، فمعنى بيته واضح لا يدخله غموض واحكاماً

لبنيتها الدلالية نسج الشاعر هذه الجملة ليرصع بها نظمه، ويؤكد الحالة التي كانت عليها الضحية، فقد كانت راتعة في حد النهار إلا أن المصاب قد نالها، فحقيقتة اعتراضه بالجملة الحالية لم يذهب هباءً، وإنما سجل به الأعشى في هذا البيت دقت وصف لحالة الموصوفة، ومن هذا الاعتراض قوله كذلك:

قَالُوا الْبَقِيَّةُ، وَالْهَنْدِيُّ يَحْصُدُهُمْ وَلَا بَقِيَّةَ إِلَّا النَّارُ، فَأَنْكَشَمُوا.³²

فالجملة الحالية في هذا البيت "والهندي يحصدهم" اعترضت شطري البيت صدره عن عجزه ليحدث بهذا بيانا للمعنى فالشاعر قد حقق من خلالها قصداً واضحاً؛ إذ قرر بها أن جيش العدو قد حصدهم المهند، فلم يبق منه شيئاً. فمن جملة "قالوا البقية"؛ أي أين تكلمت الجيش الذين قتلهم السيف، يجيبون لهيبته فانهمزوا صاغرين.

إذا بهذه الجملة الحالية صرح الشاعر بإيقاعه وبلاغته إذا أتم بها المراد وإصابة المقدار على حد تعبير الجاحظ فكان بذلك الاعتراض ذا جماليات دلالية رغم سلامة بنيتها النحوية.³³

الاعتراض بين الصفة والموصوف؛ اعترض الأعشى في ديوانه بين الصفة والموصوف بجملة فعلية وأخرى منفية واستثنائية، وشبهه جمل من جار ومجرور، وغيرها.

ومثاله قول الشاعر:

وَفِي الْحَيِّ مَنْ يَهْوَى لِقَانًا وَيَسْتَهِي وَأَخْرُ مِنْ أَيْدِي الْعَدَاوَةِ مُغْصَبًا.³⁴

فلفظة "آخر" اعترض بينهما الشاعر وبين صفتها "مغضب" بجملة من الموصولت "من أيدى العداوة" تميماً لإيقاعه وإيضاحاً لمراده المتمثل في قيمته بين أهله وذويه، وأهل حيه إذ منهم من يشغف لملاقاته، ومنهم من يبغضه لعداوته. فدلالته اعتراض الشاعر ليست إيقاعية فقط بل تعدت إلى مذهب جمالي زاد البيت حسنا وبيانا. ومن اعتراضه بين الصفة وموصوفها قوله:

أَتَانِي وَعَوْنُ الْحَوْشِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ كَوَانِسُ مَنْ جَنَّبِي فَتَأَقُّ فَأَبْلَغًا.³⁵

اعتراض الشاعر في هذا البيت بأكثر من اعتراض فمحل الشاهد هنا بين الصفة "وعون الحوش" وصفتها "كوانس"، فتخللتها جملة ظرفية "بيني وبينكم" وأورده الشاعر ليحدثنا عن دلالة المكان، فاعتراضه لم يذهب هباءً، فأحسن الشاعر في اتخاذه ملجأً للتعريف بالمكان أولاً، ثم ليحمل بعده - مباشرة - البنية الشكلية، والملاحظ أن صاحبنا اتخذ هذه المسافة التي بينه وبين قومه ليعلمنا أنه هو بعيد عنهم فلا يصله شيء منه، ورغم هذه الفاصلة الطويلة في البيت الأول إلا أن الشاعر أحضر فاعل - "أتاني" - في البيت الثاني "تأتيكم" وهو ظاهر في قولته من القصيدة نفسها: تأتيكم أحلام من ليس عنده على الرهط معنى لو تناوون موثقاً.³⁶

إذا "تأتىكم" فاعل الفعل البيت الأول "أتاني" وهو اعتراض آخر بين الجملة الفعلية "الفاعل وفعله"، ولهذا قلت سابقاً أن البيت يحمل أكثر من اعتراض، وليس مبلغ همي. في هذا البيت - أن أبحث عن الاعتراضات التي استخدمها الشاعر في جملة واحدة، وإنما لأنتهي بالقول: أن الشاعر أفحم بيته بزخم معرفي في جملة من الاعتراضات، ومن قبيل هذا الاعتراض قوله واصفاً المطر:

يَا مَنْ يَرَى عَارِضًا قَدَيْتَ أَرْقُبُهُ، كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ الشَّعَلُ
لَهُ رِدَانٌ، وَجَوْزٌ مُمَازٍ عَمَلٌ، مُنْطَقٌ بِسِجَالِ الْمَاءِ مُتَّصِلٌ³⁷.

استعمل الشاعر حشواً من الأوقاف لهذا المطر، وذكر أنه له سبحانه تتبعه ومملوءة بالماء، ودائمة البريق. وأفرط الأعشى في ذكر هذه الأوصاف إيضاً لعظمة ما أرى من العارض وجوده في ترصيعه لتنظيمه، ويحثنا عن مطلبه الشكلي الذي أخرجه عن نظام مدحه إلى غرض وصف العارض الذي يحمل في جهة عكسية مدح مقصود، وهي هريرة. لهذا أردف الشاعر جملاً وصفية لمراده ويهد أتمم مقصوده وأضاف به نغمة دقيقة الإيقاع.

الاعتراض بين الجمل المنسوخة:

وفي الأعشى شواهد كثيرة في الاعتراض بين الجملة المنسوخة يتضح ذلك في قوله:

كَأَنَّ ثِيَابَ الْقَوْمِ حَوْلَ عَرِينِهِ تَبَايِينُ أَنْيَاطٍ لَدَى جَنْبِ مُحْضَدٍ³⁸.
فالاقتراض بين اسم كأن "ثياب القوم" وبين خبرها "تبايبن أنياط"، واعتراض بينهما ظرف "حول عرينه" ليبدل على المكان مؤكداً عليه.

ومن قوله:

كَأَنَّ ظَبَاءَ وَجْرَةَ مُشْرِفَاتٍ عَلَيْهِنَ الْمَجَاسِدُ الْبُرُودُ³⁹.

فقد اعترض الشاعر بين المبتدأ وخبره، فاسم كأن هنا "ظباء وجرة" وخبرها "المجاسد والبرود" والمعترض "عليهن" كذلك الجار والمجرور ليدع الشاعر خاصية الجمال على هذه الظباء، ليحقق غايته الموسيقية وليسدد كذلك معاني بيته.

ويقول في هذا المجال أيضاً:

وَأَنَّ عِتَاقَ الْعَيْسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ثَنَاءً، عَلَى إِعْجَازِهِنَّ، مُعَلَّقٌ⁴⁰.

نلاحظ هذا البيت فهو من أطف ما قال الأعشى فقد تحقق فيه اعتراضان: اعتراض بجملة فعلية "سوف يزوركم"، وشبه جملة الجار والمجرور "على أعجازهن" وقد كان في البيت بهذين الاعتراضين صيغة جمالية معرفية تسدد المعنى للغة منسجمة ودقه لفظ سجيية. فاسم إن "عتاق العيس" وخبرها "ثناء معلق" وزيادة للإيقاع الموسيقي أتحننا الشاعر بفتيات بنائية للقصيد.

الاعتراض بين الفاعل وفعله: يقول الأعشى:

تَصَابَيْتَ أَمْ بَأْتَتْ بِعَقْلِكَ زَيْنَبُ، وَقَدْ جَعَلَ الْوُدَّ الَّذِي كَانَ يَذْهَبُ⁴¹

ويقول في بيت آخر: حَطَّتْ لَهُ رِيحٌ كَمَا حَطَّتْ إِلَى مَلِكِ عِيَابِهِ⁴²

فالبيت الأول اعترض الجار والمجرور "بعقلك" على الفاعل "زينب" تكاملاً مع الإيقاع الموسيقي "التصريح"، وقصد إبراز قوة بدهامة الشاعر حيث ذكر البين وأردفه بالعقل لتصل إلى السامع أن المهجور ذهب بعقله زينب.

ومحل الشاهد في البيت الثاني "لي" الجار والمجرور فاعترض كذلك الفاعل عن متابعة فعله، ليحدثنا الشاعر عن نعمة الريح إذ قادت المطر إلى عشب ينتظرها ليورق. وهنا جاء الاعتراض ليزداد المدح نفضة أخرى من نفضات الطبيعة التي طالما رافقت الإنسان. وجاء به الشاعر كذلك ليوقف على وزنه الموسيقي.

ومن قوله: مَضَى لِي ثَمَانُونَ مِنْ مَوْلَدِي، كَذَلِكَ تَفْصِيلُ حَسَابِهَا⁴³

فالشاهد في هذا البيت مضى "لي" ثمانون. فالجار والمجرور "لي" تأخر الفاعل "ثمانون" من اللحاق أو متابعة فعله لأن الشاعر في هذه الحالة يؤكد أن عمره قد طال، وصار مسناً ومجرباً للحياة حلوها ومرها. وفي القصيدة يشير أن بعد العمر الطويل صار يعرف أن كعبته نجران لا بد من زيارتها، فهزن زيادة على المنحى الجمالي، ولنتقضى البعد المعرفي لهذا الاعتراض الذي شكل زيادة على الإيقاع توكيداً لمعنى يريد الشاعر إيصاله إلى السامع ألا وهو سنه.

الاعتراض بالجملة الندائية؛ قال الأعشى:

إِنْ كُنْتُ لَا تَشْفِينِ غَلَّتْ عَاشِقٌ، صَبَّ يُحِبُّكَ يَا جُبَيْرَةَ، صَادِي⁴⁴

يكن الاعتراض في الجملة الندائية "يا جبيرة" فكان المعنى مكتملاً بجماليات استدراك الشاعر للفظ "صادي" حرصاً على مبناه الموسيقي، وحرصاً على رويته فإهتم بلفظة "صادي" واعترض بينها وبين "صبَّ يحبك"، لذلك قصد الشاعر مستدركا لها متمماً بها معناه.

ومن قبيل هذا الاعتراض قول الشاعر:

لِيَجْعَلَنِي سُبَّاً بَعْدَهَا، جُدِّعْتَ يَا عَلْقَمُ، مِنْ نَازِرٍ⁴⁵

استعمل الشاعر الأسلوب السابق ليتم مراده بالجملة الندائية "يا علقم" إذ حدد - من خلالها - أو قصد بها منحاه الشكلي المتمثل في الإيقاع مجتهداً في البحث عن رويته وقافيته مهتماً بما يضيفه من النداء من تثبيت للمعنى.

وفي موضع آخر قال الشاعر أيضاً:

كَأَنَّ زَعْمَتَهُ بَأْتًا لَا نُقَاتِلُكُمْ، إِنَّا لَأَمْثَالِكُمْ، يَا قَوْمَنَا، قَتِلْ⁴⁶

وهذا الاعتراض بجملة النداء "يا قومنا" يفيد الشاعر به لغة الفخر التي يؤكد فيها هذا البيت، فهم في الحرب رجال قتل لا نأبه بما يقولون.

وبهذا الاعتراض يأتي لنا الشاعر بأنغام شجية، أي يحقق الموسيقى، والتركيز على المراد في القصيدة.

- * / أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، عاش أوائل القرن الرابع الهجري.
- 1 لسان العرب : ابن منظور، مادة عرض، ط2، 1992، الدار الصادرة، بيروت، ج7، ص168.
 - 2 الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح. احمد عبد الغفور عطار، ط3. 1984. دار العلم للملايين - بيروت. ج3. ص1084.
 - 3 معجم مقاييس اللغة: ابن فارس. تح. عبد السلام هارون، ط1، 1991. دار الجيل. بيروت. ج4. ص272.
 - 4 معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد نجيب اللبادي. دار الثقاف. الجزائر. ص151. 150.
 - 5 المرجع نفسه. نقلا عن التعريف. الجرجاني. ص151.
 - 6 الخصائص: ابن جني. تح. محمد علي النجار. ط2. دار الهدى للنشر والطباعة. بيروت. ج1. ص335.
 - 7 المصدر نفسه. ج2. ص341.
 - 8 الامالى النحوية: ابن الحاجب. تح. عدنان صالح مصطفى. ط1. 1986. دار الثقافه. قطر. ص133.
 - 9 مغني اللبيب عن كتاب الاعراب: ابن هشام. تح. ج. الفاخوري. ط1. 1991. دار الجيل بيروت. ج2. ص21.
 - 10 البيان والتبيين: الجاحظ. تح. محمد عبد السلام محمد هارون. ط2. ج1. ص277.
 - 11 ديوان طرفه ابن العبد: الدار الصادره بيروت. ص88.
 - 12 كتاب البديع: ابن المعتز. نشر المستشرق أغناطيوس كراتشوفسكو. دار الحكم دمشق. ص59.
 - 13 الاغاني: ابو فرج الاصفهاني. دار الثقافه. بيروت. ج5. ص7.
 - 14 نقد الشعر: قدامه بن جعفر. تح. محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتب العلميه. بيروت ص144.
 - 15 الصناعيتين الكتابه والشعر: ابو هلال العسكري. تح. محمد علي البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم. ط2. 1971. مكتبه عيسى الحلبي وشركاه. ص410.
 - 16 دلائل الاعجاز: الجرجاني. تقديم ابو رقيه. سلسله الانيس الادبيه. 1991. ص107. 100.
 - 17 الاسلوبيه مدخل نظريه ودراسه تطبيقيه: د. فتح الله احمد سليمان. 1990. الدار الفنيه. ص173.
 - 18 العمده: ابن رشيق. ج2 ص45.
 - 19 نقد الشعر: قدامه ابن جعفر. الالتفات ص150.
 - 20 الخزانة: ابن حجه الحموي. ج1. ص146.
 - 21 ديوان الأعشى الكبير: شرح وتعليق د. محمد محمد حسين. 1950. مكتبة الاداب بمصر. ص33.
 - 22 ديوان الأعشى: 1986. دار بيروت ص83.
 - 23 المصدر نفسه: ص84. الأبيلي: الراهب الذي يحمل العصا التي يضرب بها الناقوس.
 - 24 سورة الفتح: الايه. 25.
 - 25 الديوان: ص07.
 - 26 المصدر نفسه: ص82. الجمار: الجماعه أو جمرات العرب وهم عبس الحرث وضبت.
 - 27 الديوان ص7.
 - 28 الديوان ص192. يسخر الشاعر منهم. إلى ما: على أي وقت.
 - 29 كتاب البديع ابن المعتز ص59.
 - 30 نقد الشعر. قدامه ص144.

- ³¹ الديوان ص 107. حد النهار:طوال النهار. الثيرة:جمع ثور.
- ³² المصدر نفسه ص 112.
- ³³ البيان والتبيين ج 1 ص 277.
- ³⁴ الديوان ص 11.
- ³⁵ المصدر نفسه ص 123. العون:القطيع من حمر الوحش. الحوش:الوحش.
- ³⁶ المصدر نفسه ص 123. تأتيكم: إنتظاركم. مفعى: نفع.
- ³⁷ الديوان ص 146. العارض:المطر. الردان:سحب تتبعه. الجوز:الوسط. المقأمر:الممتلئ بالماء. العمل:الدائر البريق.
- ³⁸ الديوان ص 48. التبايين:سراويل قصيرة. المحصد: الزرع حان.
- ³⁹ الديوان ص 63.
- ⁴⁰ المصدر نفسه ص 120.
- ⁴¹ الديوان ص 10.
- ⁴² المصدر نفسه ص 20.
- ⁴³ المصدر نفسه ص 25.
- ⁴⁴ الديوان ص 50.
- ⁴⁵ المصدر نفسه ص 95.
- ⁴⁶ المصدر نفسه ص 149.